منهج القرآن الكريم في بث الأمل – دراسة موضوعية

(نبذه لليأس والقنوط، أنموذجًا)

إعداد :

سامي بن عبدالعزيز العفيصان

طالب دكتوراه، قسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

تحت إشراف الدكتور : المتولي علي بستان

الأستاذ المشارك بكلية العلوم الإسلامية _ قسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

ملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛

فإن هذا البحث يتألف من تمهيد ومبحثين مع أبرز النتائج والتوصيات، أما التمهيد فيشتمل على: فكرة البحث: في التأكيد على أنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأول لغرس الأمل في النفوس والوقاية من اليأس والقنوط، وإشكاليته: أننا بحاجة إلى مُعالجة مشكلة اليأس وضعف الأمل لدى بعض المسلمين بسبب جائحة كورونا وأهميته: أنه يؤكد على أن كتاب الله تعالى هو كتاب الأمل والتفاؤل، وأن من أراد السعادة والطمأنينة فليُقبل على القرآن العظيم تلاوةً وتدبرًا وعملًا، وأهدافه: التي تتجلى في بيان نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط، وتوضيح مقومات الوقاية من اليأس والقنوط وصناعة الأمل، وقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي حيث يقوم الباحث باستقراء ما يدخل من الآيات الشريفة تحت موضوع البحث، ثم تحليلها وتصنيفها إلى موضوعات، ليتم دراستها تحت كل موضوع واستنباط المعاني والدلالات من خلال الاطلاع على أقوال علماء التفسير، ويشتمل المبحث الأول: على ذكر منهج القرآن الكريم في بث الأمل، بينما يشتمل المبحث الثاني: على نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط، ومقومات صناعة الأمل والوقاية من اليأس والقنوط في القرآن الكريم، وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج؛ منها: أن الإسلام دين إيجابي يدعو للأمل ورجاء ما عند الله من الخير والرحمة، ويمنع من اليأس والقنوط مهما كانت الأزمات، ويوصي الباحث بعمل المزيد من الدراسات القرآنية لاستنباط مقومات صناعة الأمل والوقاية من اليأس والقنوط وربطها بالواقع وما فيه من تحديات وأزمات.

الكلمات المفتاحية: الأمل – الرجاء- اليأس – القنوط.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الكريم الوهاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أنزل الله تعالى القرآن رحمةً للناس وتبيانًا لكل ما يحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة، ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم من آيات كثيرة تبث الأمل في النفوس، وتنبذ اليأس والقنوط، مهما كانت شدة الظروف والأحوال التي تحيط بالإنسان، وذلك ما يهدف الباحث للحديث عنه، من خلال تقديم دراسة موضوعية تتناول بعض ما جاء في القرآن الكريم من بث للأمل، وربطه ببعض محاور وأهداف المؤتمر الدولي الثالث للدراسات الإسلامية المعاصرة والقضايا المستجدة الذي تنظمه كلية العلوم الإسلامية بجامعة المدينة العالمية بماليزيا، والذي هو بعنوان :الأوبئة والأمراض من المنظور الإسلامي، تحت شعار :نحو رؤية إسلامية شاملة للأوبئة والأمراض، كمبادرة مباركة من الجامعة لإتاحة الفرصة للباحثين للمشاركة بجهودهم في دراسة هذا الوباء، وإبراز عصارة فكرهم في كيفية التعامل معه، وهذا البحث يتعلق بالمحور الأول من محاور المؤتمر : " منهج القرآن الكريم في التعامل مع الأوبئة والأمراض".

والبحث مستل من بحث جاري إعداده من الباحث للحصول على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن بعنوان (منهج القرآن الكريم في بث الأمل – دراسة موضوعية).

إشكالية البحث :

أصيب العالم بجائحة فيروس كورونا المستجد، وهو مرض معدي وقاتل، فسيطر اليأس والتشاؤم على بعض المسلمين الذين غفلوا عما جاء في القرآن الكريم من نبذ لليأس وغرس للأمل في النفوس، مما أثَّر في صلتهم بربهم وضعف لديهم جانب حسن الظن بالله تعالى ورجاء فضله ورحمته عز وجل، إضافة الى تأثير ذلك على مناعتهم ضد الإصابة بهذا الوباء أو في مقاومته إن أصيبوا به، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن ذوي الشخصية الإيجابية أقل عرضة للإصابة الفيروسية في الجهاز التنفسي [١]، وقد يتحول اليأس لحالة اكتئاب شديدة تؤدي بالبعض للانتحار هربًا مما هم فيه من مشاعر مؤلمة وقلق دائم[٢].

---

(١) ينظر: المنشورات الصحية من جامعة هارفرد ، تأثير التفاؤل على الصحة، http://www.health.harvard.edu/heart-health/optimism-and-your-health

(٢) ينظر: بحث عن أثر جائحة كوفيد-١٩ على معدلات الانتحار، وكذلك أثر الأوبئة الفيروسية السابقة على معدلات الانتحار كجائحة الإنفلونزا الإسبانية، في المجلة الطبية العالمية Qjm ، https://academic.oup.com/qjmed/article/doi/10.1093/qjmed/hcaa202/5857612

ولذلك جاء هذا البحث ليعالج مشكلة اليأس وضعف الأمل لدى بعض المسلمين بسبب جائحة كورونا، كمنهج قرآني في التعامل مع جميع الأزمات ومنها الأوبئة والأمراض.

أسئلة البحث :

١. ما هو منهج القرآن الكريم في بث الأمل ؟
٢. كيف حذر القرآن الكريم من اليأس والقنوط؟
٣. ما هي مقومات الوقاية من اليأس والقنوط التي جاءت في القرآن الكريم؟

أهداف البحث :

١. بيان منهج القرآن الكريم في بث الأمل.
٢. بيان نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط.
٣. ذكر مقومات الوقاية من اليأس والقنوط في القرآن الكريم.

أهمية البحث :

١. أهمية أن يعلم كل مسلم، بل وكل الناس، أن كتاب الله تعالى هو كتاب الأمل والتفاؤل، وأن من أراد السعادة والأمل الدافع للعمل فليُقبل على القرآن العظيم تلاوةً وتدبرًا وعملًا .
٢. كثرة الآيات في كتاب الله التي يحي الله بها القلوب والأرواح ويدعوها إلى الثقة بالله تعالى وما يتبعه من حسن الظن به سبحانه وتوقع للخير والأمل فيما عنده وعدم اليأس من رحمة الله، كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ الحج: ٦٣، وقوله سبحانه : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ الشرح: ٥ - ٦، والآيات في هذا الباب كثيرة جدًا.
٣. الأمل ورجاء الخير من أسباب تحقيق حسن الظن بالله تعالى، وما يتبعه من زيادة في الإيمان بالله جل وعلا.
٤. ما يحدثه نقيض الأمل وهو اليأس والقنوط من القلق النفسي الذي قد يؤول بصاحبه إلى الأمراض النفسية الخطيرة .
٥. أهمية الأمل للأمة وللعالم للاستمرار في البحث عن علاج لمرض كوفيد-١٩ (كورونا) وكذلك لقاحات تقي منه.

٦. المساهمة في توفير مادة علمية تكون منطلقا لبناء تطبيقات الكترونية ودورات تربوية تبني الإيجابية والأمل والتفاؤل في نفوس النشء والشباب، نابعة من أعظم مصدر وهو كتاب الله تعالى.

٧. توفير مادة علمية رصينة للخطباء والدعاة وغيرهم للتحذير من اليأس والقنوط وبيان مقومات الوقاية منهما.

مصطلحات البحث

أ- " منهج القرآن الكريم " : المنهج لغة : أي الطريق الواضح، ثم استعير للطريق في الدين[١]،ومَنْهَجُ الطريق: وضَحُه[٢].

والمنهج اصطلاحا: هو علم يعتني بالبحث في أيسر الطرق؛ للوصول إلى المعلومة مع توفير الجهد والوقت، و تفيد كذلك معنى ترتيب المادة المعرفية و تبويبها وفق أحكام مضبوطة[٣].

ب- "بث" : البث لغة : يقال "بث الرجل الحديث أذاعه ونشره وبث السلطان الجند في البلاد نشرهم"[٤].

والبث اصطلاحًا: "تفرقة آحاد مستكثرة في جهات مختلفة"[٥].

ت- الأمل : لغة : الرجاء[٦] ، وقال بعضهم : الأمل يكون في الممكن والمستحيل، والصحيح أن الأمل لا يكون في المستحيل [٧].

والأمل اصطلاحًا: هو "تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل"[٨]، وقيل هو : "ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة"[٩]، وقيل هو " توقع حصول الشيء"[١٠].

فهو بذلك توقع القلب واطمئنانه لحصول وتحقق ما فيه الخير والسرور، وإذا استقر هذا المعنى في القلب تجاه أمر من الأمور وصاحبه العمل وبذل الأسباب وكان فيما لا يشغل عن العمل للآخرة فإن

---

(١) ينظر : العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، مادة "الفرق بين الشرعة والمنهاج"، ط١، ص (٢٩٨).

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "نهج"، ط٣، ٣٨٣/٢.

(٣)ينظر : البدوي، **المنهجية في البحوث و الدراسات الأدبية**، ط١، ص (٩).

(٤) الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، مادة (ب ث ث)، د. ط، ٣٦/١.

(٥)الحدادي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، باب (الثاء)، مادة "البث"، ط١ ، ص(٧١).

(٦)ينظر : الجرجاني، **كتاب التعريفات**، باب (الراء)، ط١، ص(١٠٩).

(٧)ينظر : العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، مادة "الفرق بين الامل والطمع"، ط١، ص (٧٣).

(٨)الجرجاني، **كتاب التعريفات**، باب (الراء)، ط١، ص(١٠٩).

(٩)الزبيدي، **تاج العروس**، مادة "أمل"، د.ط ، ٢٧/٢٨.

(١٠)الحدادي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، باب (الألف)، ط١ ، ص(٦٢).

تأثيره إيجابي على حياة الإنسان وتحقق أهدافه، وذلك بقدر ما يكون فيه من الأمل وما يكون منه من العمل والاجتهاد والتوكل على الله تعالى والثقة بفضله وإحسانه.

ث- "اليأس" : لغة: الياء والهمزة والسين. كلمتان: إحداهما اليأس: قطع الرجاء. ويقال إنه ليست ياء في صدر كلمة بعدها همزة إلا هذه. يقال منه: يئس ييأس وييئس، على يَفْعَل وَيَفْعِل، والكلمة الأخرى: ألم تيأس، أي ألم تعلم. وقالوا في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ الرعد: ٣١ ، أي أفلم يعلم[١]، واليأس: القنوط، ضد الرجاء، أو قطع الأمل.[٢]

واليأس اصطلاحًا: القطع على أن المطلوب لا يتحصل لتحقيق فواته.[٣]

ج- "القنوط": لغة: الإياس من الخير، ويقال: شر الناس الذين يقنطون الناس من رحمة الله، أي: يؤيسونهم[٤]، وقيل: أشد اليأس من الشيء[٥].

والقنوط اصطلاحًا: هو الإياس من الرحمة ، وهو ثمرة اليأس[٦]، وقيل : هو استبعاد الفرج واليأس منه، منه، وقيل هو استصغار لسعة رحمة الله عزّ وجلّ ومغفرته، وذلك ذنب عظيم وتضييق لفضاء جوده تعالى[٧].

وقيل في الفرق بين اليأس والقنوط: أن اليأس من صفة القلب، والقنوط أن يظهر آثار اليأس في الوجه والأحوال الظاهرة[٨]، والقنوط أشد مبالغة من اليأس[٩].

وبالتالي فمعنى اليأس والقنوط يدور حول عدم توقع الخير، وتصور عدم حصول المطلوب، وأنه لا يمكن أن تتغير أحوال الإنسان أو الأحوال غير المرغوبة المحيطة به أو بغيره، أو تغير عاداته السلبية، وذلك كله ضد الأمل بالله تعالى وفضله العظيم، وإن خطورة دلالات معاني اليأس والقنوط تؤكد أهمية تحلي المسلم بالأمل وحسن الظن بالله ورجاء رحمته وفضله سبحانه، وأن لا ييأس ولا يقنط مهما كانت الظروف والأسباب.

---

(١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة "يأس"، د.ط، ١٥٣/٦.

(٢) ينظر: الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، مادة (اليأس واليآسة) ،ط٨، ٥٨٢/١. ابن فارس، **مجمل اللغة**، ،مادة "يأس"، ط٣، ص (٩٤١). (٩٤١).

(٣) ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ط١،ص(٦٣٣).

(٤) الأزهري ، **تهذيب اللغة** ، مادة (قنط)، ط١ ، ٢٥/٩.

(٥) الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ، مادة (قنط) ، د.ط، ٥١٧/٢.

(٦) ينظر: ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**،ط١ ، صفحة رقم (٦٣٣) .

(٧)ينظر: السلمي، **شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال**، ط١، ص (١٢٠).

(٨)ينظر: الرازي ، **التفسير الكبير**،ط٣، ٥٧٢/٢٧.

(٩) ينظر: العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، مادة "الفرق بين القنوط والخيبة واليأس"، ط١، ص (٤٣٥).

منهج البحث :

يستخدم هذا البحث المنهج الاستقرائي[١] والتحليلي[٢] والاستنباطي[٣]، حيث سيقوم الباحث باستقراء ما يدخل من الآيات الشريفة تحت موضوع البحث، ثم تحليلها وتصنيفها إلى مواضيع، ليتم دراستها تحت كل موضوع واستنباط المعاني والدلالات من خلال الاطلاع على أقوال علماء التفسير .

تقسيمات البحث:

ينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث، ولكل مبحث مطالب، ثم الخاتمة، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في بث لأمل، وتحته أربعة مطالب:

١. القواعد القرآنية الباعثة للأمل.
٢. بث الأمل من خلال قصص القرآن الكريم.
٣. بث الأمل من خلال أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلا.
٤. نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط.

المبحث الثاني: نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط، وتحته مطلبان:

١. تحريم القرآن الكريم لليأس والقنوط.
٢. مقومات صناعة الأمل والوقاية من اليأس والقنوط في القرآن الكريم.

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في بث لأمل

المطلب الأول :القواعد القرآنية الباعثة للأمل:

جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة مصوغة صياغة القاعدة أو السُّنّة الثابتة، تتضمن معاني كثيرة باعثة للأمل، ومن هذه الآيات الكريمة[٤]، قول الله تعالى :

---

(١) المنهج الاستقرائي: هو منهج يقوم على التتبع لأمور جزئية مستعانا على ذلك بالملاحظة والتجربة وافتراض الفروض لاستنتاج أحكام عامة منها منها . ينظر : الربيعة، **البحث العلمي**، ط٦، ١٧٨/١.

[٢] المنهج التحليلي: هو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية، المختلفة، تفكيكا، أو تركيبا، أو تقويما .ينظر: فريد الأنصاري، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، ط١، ص٩٦.

[٣] المنهج الاستنباطي: هو منهج يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة؛ لاستنتاج أحكام منها . ينظر : الربيعة، **البحث العلمي**، ط٦، ١٧٨/١.

[٤]ذكر الباحث الآيات الشريفة بدون التعليق عليها، نظرا لمحدودية عدد الصفحات المسموح بها في هذا البحث.

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ ﴾ البقرة: ٢١٦

﴿ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ ﴾ الطلاق: ١

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ البقرة: ١٨٦

﴿ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧ ﴾ الطلاق: ٧

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦ ﴾ الشرح: ٥-٦

﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ﴾ الزمر: ٣٦

﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ ﴾ الضحى: ٤

﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ التوبة: ٤٠

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ ﴾ البقرة: ٢٠

﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ هود: ١١٤

﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ ﴾ الأنفال: ٧٠

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ الطلاق: ٢-٣

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ الطلاق: ٣

﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ ﴾ يس: ٨٢

﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ ﴾ الأنعام: ١٧

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ الحج: ٤٠

﴿ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ ﴾ الأعراف: ١٢٨

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧ ﴾ الروم: ٤٧

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ الحج: ٣٨

المطلب الثاني: بث الأمل من خلال قصص القرآن الكريم:

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم كثيرًا من القصص التي تبث الأمل وتحيي التفاؤل في النفوس، كقصص الأنبياء والرسل مع قومهم، والتي قال عنها الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ يوسف: ١١١

ومن ذلك قصص الأنبياء في سورة هود، فالسورة الكريمة تدعو للتفاؤل، وتوقع العاقبة الحميدة، رغم الشدائد التي يواجهها الدعاة، وكذلك كل من أصابته مصيبة، وذلك ما كان من أنبياء الله تعالى، فقد صبروا واستمروا فيما أمرهم الله به من الطاعة والدعوة إليه، فكانت قلوبهم بذلك مطمئنة ثابتة، لا يأس فيها ولا قنوط، وكانت أخبارهم في هذه السورة الكريمة دعوة للتفاؤل لكل داعية، ولكل مكروب، بأن النصر والتوفيق مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا.

وكذلك قصة يوسف عليه السلام، فإن ما وقع له من مصائب ومحن، وما أحاطه الله تعالى به من اللطائف والمنح أثناء تلكم المحن، ثم الفرج التام ورفعة المنزلة والتمكين في الأرض، لدعوة صريحة لأمرين مُهِمَّيْنِ:

أ- عدم الاستسلام للمصائب، وعدم اليأس والقنوط؛ فإن فضل الله واسع ولطفه عظيم.

ب- دعوة لتوقع الخير من الله تعالى وحسن الظن به رغم أشد الظروف والأحوال.

وما ذكره الله تعالى من قصص بعض الأنبياء في سورة الأنبياء وما نالهم من البلاء، مع أنهم أحب الناس إلى الله تعالى وأقربهم عنده منزلة، يهون أمامه كل بلاء يكون لغيرهم من البشر، ثم ما ذكره سبحانه من تفريجه لكرب أنبيائه، وما عوضهم به مما هو خير مما فاتهم، وفي ذلك فأل خير وأمل لكل مكروب باليسر بعد العسر والخلف من الله تعالى عمَّا فات، وأن الفرج مع الكرب.

المطلب الثالث: بث الأمل من خلال أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلا :

إن العلم بأسماء الله تعالى وصفاته العلا وفهمها يورث الأمل والتفاؤل وتوقع الخير من الله تعالى، وحسن الظن به سبحانه، لما تتضمنه أسماؤه وصفاته جل وعلا من أعظم معاني الرحمة واللطف والقدرة والكرم وعظيم الهبات والعطايا، وغيرها بحسب أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، وإذا ظن العبد بالله تعالى خيرًا، كان له ذلك الخير الذي توقعه من الله تعالى، كما في الحديث القدسي، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله جل وعلا يقول أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرًا فله وإن ظن شرًا فله"[1].

أنموذج لأسماء الله جل وعلا "اللطيف" :

جاء ذكره في عدة آيات في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ الأنعام: ١٠٣، فهو سبحانه اللطيف الذي لطف علمه وخبرته، ودق حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن، فمن لطفه سبحانه أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، ويوصلها إليه بالطرق التي لا

(١) أخرجه ابن حبان في **صحيحه** ، ط١ ،كتاب الرقاق، ، باب ذكر البيان بأن اللَّه جل وعلا يعطي من ظن ما ظن إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ٤٠٥/٢ ، رقم (٦٣٩) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ، ٣٢٣/٣.

يشعر بها العبد، ولا يسعى فيها، ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي، من حيث لا يحتسب، حتى أنه يُقدِّر عليه الأمور، التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها، لعلمه سبحانه أن لدينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين [1] ، وقال عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩ ﴾ الشورى: ١٩، فهو سبحانه اللطيف بعباده كثير الإحسان بهم، ومن لطفه تعالى بعباده أنه سبحانه يوسِّع الرزق على مَن يشاء من عباده، ويضيِّقه على مَن يشاء منهم، وفْق حكمته سبحانه وعلمه بما يصلح لهم[2].

وقد لطف الله تعالى بيوسف عليه السلام اللطف العظيم، ففرج كربه ورفع قدره وجعله على خزائن مصر، وجمعه بوالديه وإخوته ولهذا أثنى على الله تعالى بأنه سبحانه ﴿ لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ ﴾ يوسف: ١٠٠، ومن لطف الله تعالى إحياء الأرض فتصبح مخضرة، بعد أن كانت يابسة ميتة، قال تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ٦٣ ﴾ الحج: ٦٣، ولهذا فإن الله اللطيف قادر على شفاء أي مريض مهما كان مرضه، وتفريج كروب كل مكروب مهما كانت، وإصلاح كل حال وشأن، فاللطيف جل وعلا الذي أحيا الأرض الميتة وفرج كُرب يوسف عليه السلام وأبدله عن السجن أرض مصر وخزائنها يُصرفها كيف يشاء، لا يعجزه شيء سبحانه وبحمده.

المطلب الرابع : نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط.

وهو ما سيتم تفصيله في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط

المطلب الأول : تحذير القرآن الكريم من اليأس والقنوط:

حذَّر القرآن الكريم من اليأس والقنوط، وفي ذلك تأكيد على أهمية ووجوب حسن الظن بالله تعالى ، ودعوة للأمل بما عند الله من الرحمة والكرم واللطف، وعدم الاستسلام لأي باعث على اليأس والقنوط مهما كانت الظروف المحيطة بالإنسان، فالله سبحانه وتعالى عزيز قدير لا يعجزه شيء، وهذا التحذير من اليأس والقنوط هو من رحمة الله تعالى بعباده، الذي يعلم ضعفهم وسهولة وقوعهم في اليأس والقنوط، ومما جاء في

(١) ينظر: السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، ط١ ، ص (٢٦٨).

(٢) ينظر: الرازي ، **التفسير الكبير** ، ط٣ ، ٢٥/٥٩٠.

ذلك: قول الله تعالى :﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣، ففي هذه الآية العظيمة، يُخبر الله تعالى عباده الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي، بسعة رحمته وعظيم كرمه، فينهاهم عن أن ييأسوا من رحمته جل وعلا، رغم كثرة ذنوبهم ومعاصيهم، ففتح لهم بذلك أبواب رحمته وفضله، ليدخل منها من كان راجيًا رحمة ربه، كما قال تعالى :﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ النساء: ١١٠ ، وهذه الرحمة الواسعة التي وسعت العاصين باب أمل لجميع عباد الله، ودافع لمنع وإيقاف أي وساوس يأس أو قنوط من رحمة الله.

وعندما جاءت الملائكة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ببشرى الولد وهو في سنٍ كبير، فقالوا له:﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ الحجر: ٥٣ ؛ أبدى تعجبه مما بشروه به فقال لهم: ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الحجر: ٥٤ ؛فردت عليه الملائكة في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الحجر: ٥٥ ، أي بشرناك باليقين الذي لا خُلف له، فلا تكن من الآيسين من ذلك، فإنه وعد الله تعالى القادر على أن يخلق بشرا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر، وكان استعجاب إبراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ؛ ولذلك رد عليهم في قوله تعالى :﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الحجر: ٥٦، أي : ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون المخطئون، الذين لا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته، إنما استبعدت الولد لكبر سني لا لقنوطي من رحمة ربي.(١)

فالقانط من رحمة الله ضال أعظم الضلال لإساءته الظن بالله الرحيم اللطيف المحسن جل جلاله، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأما المحسن ظنه بربه، فلا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد، ومهما ادلهمت حوله الخطوب، ومهما غام الجو وتلبد، بل يظل يرجو رحمة ربه مؤملا بعظيم فضله سبحانه، واثقًا بقدرته على كل شيء.

ومما جاء من نبذ القرآن الكريم لليأس، ما ذكره الله تعالى من قول يعقوب عليه السلام لبنيه : ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يوسف: ٨٧، فأمر أبناءه بالرجوع إلى مصر يلتمسون يوسف وأخيه بنيامين، ونهضهم وبشرهم وأمرهم ألا ييأسوا من روح الله مؤملًا إياهم بالله الرحيم اللطيف: ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يوسف: ٨٧، أي لا تقنطوا من رحمة الله ومن أن يُروِّحَ الله

(١) ينظر: الشوكاني ، **فتح القدير** ، ط١ ، ١٦٢/٣. البيضاوي ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**،ط١، ٢١٣/٣.

عنا ما نحن فيه من الحزن؛ ولا تقطعوا رجاءكم وأملكم من الله؛ فإنه لا يقنط من فرجه ولا يقطع رجاءه منه إلا الكافرون، فاليأس من رحمة الله وتفريجه من صفة الكافرين، وأما المؤمنون فإنهم يرجون الله تعالى في الشدائد فلا ييأسون ولا يقنطون. [1]

وجاء التحذير في كتاب الله تعالى من اليأس والقنوط عند تغير الأحوال إلى غير المرغوب، كتغير الحالة من السعة إلى الضيق، ومن الغنى إلى الفقر، أو من اليسر إلى العسر، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ ﴾ الروم: ٣٦، أي إذا أذقنا الناس نعمة من مطر أوسعة أوصحة أو غير ذلك فرحوا بها فرحًا يُبطرهم، وإن يصبهم بلاء وشدة من جدب أو ضيق أو مرض أو غير ذلك بسبب شؤم معاصيهم؛ إذا هم ييأسون من الفرج، ويسارع إليهم اليأس من رحمة الله ويبعد عنهم الأمل في العافية مما وقع بهم [2] ، وقال سبحانه: ﴿ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ٤٩ ﴾ فصلت: ٤٩، فالإنسان في حال الإقبال وحصول المرادات فإنه لا ينتهي قط إلى درجة إلا ويطلب الزيادة عليها ويطمع بالفوز بها، وفي حال الإدبار والحرمان يصير آيسا قانطا، يقطع الرجاء من فضل الله وروحه، والانتقال من ذلك الرجاء الذي لا آخر له إلى هذا اليأس الكلي يدل على كونه متبدل الصفة متغير الحال [3].

وبذلك يتبين أن القرآن الكريم يذم اليأس والقنوط ويحرمهما أشد التحريم، وأن اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى من صفات أهل الكفر والضلال.

وجاء في السنة ما يدل على أن اليأس والقنوط من كبائر الذنوب التي لا تكفرها إلا التوبة النصوح؛ فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "وثلاثة لا تسأل عنهم: رجل نازع الله رداءه، فإن رداءه الكبرياء وإزاره العزة، ورجل شك في أمر الله والقنوط من رحمة الله "[4]، وثبت عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: " الكبائر: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله،

---

(١) ينظر: القيرواني ، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره** ، ط١ ، ٣٦٢٢/٥. ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ط٢، ٤٠٦/٤. ابن عطية ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١، ٢٧٤/٣. لجنة من علماء الأزهر ، **المنتخب في تفسير القرآن الكريم** ،ط١٨، صفحة رقم (٣٩٦).

(٢) ينظر: النسفي ، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، ط١ ، ٩٥/٣.

(٣) ينظر: الرازي ، **التفسير الكبير**،ط٣، ٥٧٢/٢٧. الزمخشري ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ، ط٣ ، ٢٠٥/٤.

(٤) أخرجه أحمد في **المسند** ، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري، ط١ ،٣٦٨/٣٩ ، الرقم (٢٣٩٤٢) ، وصححه الألباني في **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، (٢ / ٨١).

والأمن من مكر الله "[1]، فالشرك أكبر الكبائر، وهو الذي لا يُغفر لنص الله تعالى على ذلك : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦ ﴾ النساء: ١١٦، وبعده اليأس من رحمة الله تعالى[2]، إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ الأعراف: ١٥٦ ، وأما اليائس فيقول لا فرج ولا أمل ولا خير قادم، وهذا التحريم لليأس والقنوط يدل من مفهوم المخالفة[3] على وجوب الأمل في فضل الله تعالى ورحمته مهما كانت الظروف، مع بذل الأسباب والاستعانة بالله تعالى عليها، وحسن الظن بالله اللطيف الرحيم جل جلاله، وبحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه.

المطلب الثاني : مقومات صناعة الأمل والوقاية من اليأس والقنوط في القرآن الكريم:

أولًا: الإيمان والعمل الصالح :

قال الله تعالى :﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾ النحل: ٩٧، فالإيمان والعمل الصالح أعظم أسباب الحياة الطيبة المطمئنة، والتي من أبرز معالمها تلقي المسار بشكر الله عليها، واستعمالها فيما ينفع، وتلقي المكاره بالاجتهاد في مدافعتها وبالصبر الجميل لما ليس له منه بد، واحتساب الأجر والثواب في كل ذلك، فتضمحل مع ذلك المكاره، وتحل محلها الآمال الطيبة، والتفاؤل، والطمع في فضل الله وثوابه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له) [4]، فبقدر ما يكون للعبد من قوة الإيمان والإقبال على الأعمال الصالحة يكون رباطة جأشه عند الملمات وثباته واستقرار نفسه وحسن ظنه بالله تعالى، وأمله بخير لا يعلمه إلا الله تعالى، وبما قاله سبحانه العليم الخبير: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾ البقرة: ٢١٦ ، وقوله جل وعلا: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ ﴾ النساء: ١٩، وبقدر ما يكون في العبد من ضعف في إيمانه وتقصير في الطاعات فإنه إذا ابتلي بما يكره يناله من التوتر والتعاسة والشقاء وسوء

---

(١) أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير** ، باب (العين)، ط٢، ١٥٦/٩ ، رقم (٨٧٨٣) ، وصحح إسناده الهيثمي في **مجمع الزوائد**، ١٠٤/١ ، رقم (٣٩٢).

(٢) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،ط٢، ١٦٠/٥.

(٣) مفهوم المخالفة : هو أن يثبت الحكم في المسكوت على خلاف ما ثبت في المنطوق ، ينظر: الجرجاني ،**التعريفات** ،ط١، صفحة (٢٢٤).

(٤) أخرجه مسلم في **صحيحه** ، د.ط ،كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ٢٢٩٥/٤ ،الرقم (٢٩٩٩).

الظن بالله تعالى واليأس والقنوط بقدر ذلك الضعف والتقصير[1]؛ قال ابن القيم : "ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده، ويقبل توبته، وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه، وهذا موجود في الشاهد، فإن العبد الآبق الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به، ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبدًا، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته، وأحسن الناس ظنا بربه أطوعهم له"[2]

ثانيًا :العلم بالله تعالى وعظيم قدرته:

فإن ذلك يورث حب لله وخشيته وتعظيمه وحسن عبادته والتوكل عليه وحسن الظن به وعدم اليأس أبدًا من فضله ورحمته مهما كانت الظروف والأحوال، وأمَّا الجهل بالله تعالى فمن أهم أسباب ضعف الإيمان واقتراف المعاصي وحصول سوء الظن بالله تعالى واليأس والقنوط، ولقد ذمَّ الله تعالى من لا يعظمونه ويوقرونه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، قال سبحانه : ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ ٧٤ ﴾ الحج: ٧٤، أي: ما عظَّموا الله حق تعظيمه، ولا عرفوه حق المعرفة، وما آمنوا أن الله على كل شيء قدير، وما وصفوه حق صفته جل جلاله[3]، والآيات في القرآن الكريم التي تتحدث عن قدرة الله تعالى الله تعالى، كثيرة، وتتنوع في أسلوبها وسياقها، وتؤكد أن الله سبحانه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، وأن كل شيء سواه مخلوق، وخاضع ذليل له؛ فكيف ييأس من يعلم أن كل شيء بيد الله تعالى، وأنه سبحانه له الجلال والكمال المطلق، وله الملك والتصرف في كل شيء سبحانه وتعالى، ومن ذلك قول الله تعالى :﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠ ﴾ البقرة: ٢٦٠، يُخبر سبحانه عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه ببصره كيف يحيي الموتى، لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده عيانا، فقال له الله تعالى ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾ البقرة: ٢٦٠، أي "قطّع بيدك هذه الطيور، وفرّق أجزاءها، ثم ادعهنّ يأتينك سعيا" [4]، فرأى إبراهيم عليه السلام بعينيه الطيور وقد فارقتها الحياة، وتفرقت أجزاءها في أماكن متباعدة، ثم رأى بعينيه الطيور نفسها تدب فيها الحياة مرة أخرى، وتعود إليه سعيًا، دلالة على قدرة الله تعالى على كل شيء، وفي ذلك أمل لكل من رأى بعينيه المصائب والمحن، أن الله تعالى قادر على أن يريه الفرج بعد

---

(١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ، ط٣ ، ٦٣٣/٢. السعدي ، **الوسائل المفيدة للحياة السعيدة**، ط٢ ، ص(١٣).

(٢) ابن القيم ، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، ط١ ، ص (٢٥).

(٣) ينظر: ابن عاشور ، **التحرير والتنوير** ،د.ط، ٣٦٢/٧، ٣٤٢/١٧ . الرازي ، **التفسير الكبير** ، ط٣ ، ٥٨/١٣.

(٤) القشيري ، **لطائف الإشارات** ، **ط٣**، ٢٠٣/١.

الكرب، والحياة الجديدة السعيدة بعد الضيق والهم، فهو سبحانه لا يعجزه شيء، فإنما أمره كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ النحل: ٤٠.

ثالثًا: الإكثار من ذكر الله عز وجل:

إن من أكثر ما يؤثر في القلب لتحقيق حسن الظن بالله تعالى ورجاء الخير منه سبحانه في جميع الأحوال، حسن صلة ذلك القلب بالله تعالى أثناء الرخاء واليسر، بالإكثار من ذكره جل وعلا، مع حضور القلب واستشعاره لذة الذكر؛ فلا يهلع ولا يفزع ولا يجزع عند العسر وحصول ما يكره، بل سيكون مطمئنًا راجيًا من الله الخير ظانًا بالله تعالى أحسن الظن، وأما القلب الغافل البعيد عن الصلة بالله تعالى وقت الرخاء واليسر فإنه يكون عند حصول ما يكره يائسًا قانطًا، كما قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ ﴾ المعارج: ١٩ – ٢٠ ،وأما القلب الموصول بالله سبحانه، فإنه ينال ما قاله جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨، فبذكر الله تطمئن القلوب، وتسكن، ويستقر فيها اليقين، ويبعد عنها الاضطراب والقلق والشك والظنون والأوهام، بما يفيضه عليها ذكر الله من نور الإيمان الذي يُذهب الهلع والوحشة[1]، فيستشعر الطمأنينة والسلام، ويحس أنه في هذا الوجود ليس مفردًا بلا أنيس، بل معه اللطيف الرحيم الذي وعد الذاكرين أنه معهم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم" [2]، فهناك لحظات في الحياة لا يصمد لها بشر، إلا أن يكون مرتكنًا إلى الله تعالى، دائم الصلة به، فيتعامل مع الأحداث بصبر ورضا، وأمل برحمة الله تعالى وفضله العظيم ولطفه وإحسانه.

والإكثار من ذكر الله تعالى يخرج من ظلمات اليأس وظلمات المعاصي إلى نور القلب وإشراقه، فيرى بهذا النور ما لم يكن يراه من قبل، فيطمئن ويثبت على ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال في جميع الأحوال، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٤١ – ٤٣، والمقصود بالإكثار من ذكر الله في الآية الكريمة هو الإكثار من ذكر الله تعالى باللسان في جميع الأوقات. [3]

---

(١) ينظر: ابن القيم ، **تفسير القرآن الكريم لابن القيم** ، ط١ ، ص (٣٣٦) . العليمي، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، ط١، ٤٩٣/٣. المراغي ، **تفسير المراغي** ، ط١ ،١٣/١٠٠-١٠١.

(٢) أخرجه البخاري في **صحيحه** ، ط١ ، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ آل عمران: ٢٨ ، ١٢١/٩ ، رقم (٧٤٠٥).

(٣) ينظر: بن أبي زمنين، **تفسير القرآن العزيز**، ط١، ٤٠٤/٣ .

وأعظم الذكر وأكثره أثرًا وطمأنينةً على النفس كتاب الله تعالى، فهو ربيع القلوب، والروح الذي تحيا به، كما يحيا الجسد بالروح [1]، والنور الذي يستضاء به من ظلمات الشبهات والشهوات والجهل ويُهتدى به إلى الصراط المستقيم، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ ﴾ الشورى: ، ٥٢، وهو أنفع الأدوية، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه[2]، ومن ذلك مرض اليأس والقنوط، فيتغير اليائس القانط فيصبح متفائلًا راجيًا رحمة ربه، مؤملًا في عظيم فضله؛ فالقرآن الكريم "مزيل للأمراض الموجهة للإرادات الفاسدة، فيُصلح القلب، فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فُطر عليها، فتصلح أفعاله الاختيارية الكسبية، كما يعود البدن بصحته وصلاحه إلى الحال الطبيعي"[3]، قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢ ﴾ الإسراء: ٨٢ ، وقال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ يونس: ٥٧ .

رابعًا : التوكل على الله تعالى:

التوكل هو "الثقة بما عند الله تعالى، واليأس عما في أيدي الناس"[4]، وهو قوة وطمأنينة وكفاية من كل هم وغم، "قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٣، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه، وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجًا من ذلك، وكفاه ونصره"[5]، والتوكل على الله تعالى واعتماد القلب عليه لا على غيره هو الحق، قال تعالى:﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ٥٨ ﴾ الفرقان: ٥٨، فهو سبحانه الحي الذي لا يموت، وأما غيره فإنهم مخلوقين ضعفاء لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا، ومن دلالة ضعفهم وعجزهم أنهم يموتون، بل لا يقدرون على تأخيره ولو لحظة واحدة إذا جاء أجلهم المكتوب من عند

---

(١) ينظر: البيضاوي ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**،ط١، ٣/٥/٨٥. النسفي ، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، ط١ ٣/٢٦٢.

(٢) ينظر: ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، ط٢٧ ، ٤/٣٢٣.

(٣) ابن القيم : **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، ط١، ١/٧٢.

(٤) الجرجاني ، **التعريفات** ،ط١، ص (٧٠).

(٥) ابن القيم ، **تفسير القرآن الكريم لابن القيم** ، ط١ ، ١/٦٤٩.

الله تعالى، فالذي يتوكل على الله تعالى ويفوض أمره إليه ويكون اعتماده عليه فقد ظفر بكفاية مالك الملك، الذي يُحيي ويُميت، وهو حي لا يموت.

وجاء في القرآن الكريم كلمات قالها المؤمنون، يظهر فيها صدق توكلهم على الله تعالى؛ فكفاهم سبحانه ما كانوا يحذرون، ومن قالها موقنًا بها كفاه الله تعالى.

أ-قول "حسبنا الله ونعم الوكيل": قال الله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ ﴾ آل عمران: ١٧٣ – ١٧٤، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : " حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ ﴾ آل عمران:١٧٣ "[1]، فكفى الله تعالى إبراهيم عليه السلام النار، وجعلها بردا وسلاما عليه، كما قال جل وعلا :﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ ﴾ الأنبياء: ٦٩ – ٧٠، وكفى الله تعالى محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه، كما قال تعالى: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ ﴾ آل عمران: ١٧٤، فكفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم[2].

ب . قول (حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم):

قال الله تعالى :﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾ التوبة: ١٢٩ ، أي " يكفيني رب العرش العظِيم، وإنما خص العرش بالذكر، لأنه الأعظم من المخلوقات، فيدخل فيه الأصغر منهم"[3] ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "من قال إذا أصبح وإذا أمسى: حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، سبع مرات، إلا كفاه الله ما أهمه"[4]

ت . قول "وأفوض أمري إلى الله إن الله بصيرٌ بالعباد":

---

(١) أخرجه البخاري في **صحيحه** ، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾ آل عمران:١٧٣ ، ط١ ، ٣٩/٦ رقم (٤٥٦٣).

(٢) ينظر: ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ط٢، ١٧١/٢.

(٣) ابن الجوزي ، **زاد المسير في علم التفسير** ،ط١ ، ٣١٣/٢.

(٤) أخرجه أبو داود **في سننه** ،ط١، كتاب الآداب، باب ما يقول إذا أصبح ، ٤١٥/٧ ،قال ابن باز في مجموع الفتاوى ٢٩٤/٩ ، موقوف إسناده جيد.

قال الله تعالى عن مؤمن آل فرعون أنه قال لقومه : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ غافر: ٤٤، أي " وأسلم أمري إلى الله، وأجعله إليه وأتوكل عليه، فإنه الكافي لمن توكل عليه "[1]، فجعل الله العاقبة له وكفاه ما أرادوا به من الشر، قال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ غافر: ٤٥ – ٤٦، وتلك عادة الله جل وعلا فيمن توكل عليه وفوض أمره إليه جل وعلا، أن يكفيه، فإن الله تعالى غالب على أمره، نافذ ما أراد، لا يبطله مبطل، ولا يغلبه غالب، قال تعالى:﴿ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يوسف: ٢١

والتوكل على الله تعالى لا يعني ترك العمل بالأسباب، فإنه على العبد أن يأتي بالأسباب إتيان من لا يرى النجاة والفلاح والوصول إلا بهذه الأسباب، ويتوكل على الله توكل من يرى أنَّ الأسباب لا تنجيه، ولا تحقق له فلاحا، ولا توصله إلى المقصود، فيفرغ قلبه بذلك من الاعتماد عليها، والركون إليها، تجريدًا للتوكل، واعتمادًا على الله وحده، وأن الأمر كله بمشيئة الله، سبق به علمه وحكمه، وأن السبب لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يقضي ولا يحكم، ولا يحصل للعبد ما لم تسبق له به المشيئة الإلهية، ولا يصرف عنه ما سبق به الحكم والعلم[2].

خامسًا: الإيمان بالقضاء والقدر:

المتأمل للكون، يدرك أنه يسير بنظام بديع وتقدير من العزيز العليم سبحانه، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ الأنعام: ٩٦، وكذلك شأن من في الأرض، فقد خلق الله تعالى كل شيء وقدره تقديرًا، كما قال سبحانه:﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الفرقان: ٢، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ القمر: ٤٩، والذي عليه أهل السُنة أنَّ الله تعالى " قدَّر الأشياء، أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته دون خلقه، وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة، وأن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه وإلهامه، سبحانه لا إله إلا هو، ولا خالق غيره، كما نص عليه القرآن

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١ ، ٣٩٤/٢١.

(٢) ينظر: ابن القيم ، **مدارج السالكين** ، ط٢ ، ٤٦٤/٣.

والسنة"[1]، والإيمان بالقدر من أركان الإيمان، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك عندما سأل جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال له :" أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[2]، ولقد بين القرآن الكريم أن كل شيء مكتوب قبل أن يكون، ويدخل في ذلك أمور الغيب كلها، وأنه سبق علمه سبحانه كل ما كان وكل ما يكون، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ * وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ٥٩ ، فكل ذلك مكتوب عنده ﴿ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ أي كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ [3] ، وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٢ – ٢٣، فما يصاب به العباد من المصائب فإنه مكتوب في اللوح المحفوظ، كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قدَّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة "[4]، فالإنسان إذا علم أن ما يحصل له من خير أو شر فإنما أمر قدَّره الله وكتبه في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة فإنه يجعله يتوازن في جميع أحواله؛ فلا يأسى على فائت، ولا يفرح بحاصل فرحًا يستخفه ويذهله، ولكن يمضي مع قدر الله في طواعية وفي رضًا، ويجعل الفرح شكرًا والحزن صبرًا وتسليمًا لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين، ويرجو ما قد يكون من خير فيما حصل له من ضر، ثقة بقول الله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ البقرة: ٢١٦ ، وبقوله سبحانه : ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ النساء: ١٩، فقد يكمن الخير العظيم في الضر الظاهر، ويكون اليسر الجميل بعد العسر، والراحة الكبرى الدائمة بعد ضنى وعناء امتد لفترة من الزمن.

سادسًا: تذكر نعم الله تعالى :

---

(١) القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن**،ط٢، ١٤٨/١٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، د.ط ، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر ، ٣٦/١.

(٣) ينظر: البغوي ، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** ،ط٤، ١٥١/٣.

(٤) أخرجه الترمذي في **السنن** ، ط٢ ، أبواب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء، ٤٥٨/٤، رقم (٢١٥٦)، والحديث صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ١٥٦/٥.

إن تذكر نعم الله الظاهرة والباطنة، يُسلي النفس عن جميع أسباب اليأس والقنوط، وإن مقارنة الإنسان بين بقية النعم الدينية أو الدنيوية الحاصلة له وبين ما أصابه من مكروه، يذكره بما هو فيه من النعم مقارنة بما أصابه، ويقيس ما هو فيه من كرب بما أصابه من ضر سابق، وكيف أن الله تعالى فرَّج ذلك واستجاب دعاءه فيه رغم شدة ذلك الحال، وما رزقه الله مما لم يتوقعه ولم يخطر له ببال؛ فيستصغر بذلك ما به؛ بتذكره نعم الله التي لا تعد ولا تحصى؛ فيتحول للشكر والثناء على الله تعالى بدل اليأس والقنوط من رحمته جل وعلا، يقول ابن القيم: " فجدير بمن له مسكة من عقل أن يسافر بفكره في هذه النعم والالاء ويكرر ذكرها لعله يوقفه على المراد منها ما هو، ولأي شيء خُلق ولماذا هُيء وأي أمر طُلب منه على هذه النعم كما قال تعالى : ﴿ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩ ﴾ الأعراف: ٦٩ ، فذكر آلائه تبارك وتعالى ونعمه على عبده سبب الفلاح والسعادة لأن ذلك لا يزيده إلا محبة لله وحمدًا وشكرًا وطاعةً وشهود تقصيره بل تفريطه في القليل مما يجب لله عليه"[1]، ونعم الله تعالى عظيمة وكثيرة، لا يستطيع الإنسان أن يعدها ولا أن يحصرها فضلا عن القيام بشكرها، قال سبحانه : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾ النحل: ١٨ ، فنعمه سبحانه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، ومن جميع أصناف النعم مما يعرف العباد، ومما لا يعرفون، وما يدفع عنهم من النقم فأكثر من أن تحصى. [2]

وتذكر نعم الله تعالى يجعل الإنسان يقارن بين ما أنعم الله به عليه وبين من هو أقل منه؛ فإنه يرى بذلك ما فضله الله تعالى به على كثير من خلقه، وأنه في خير ونِعَم تفوق كثيرًا من الخلق مهما كان حاله، فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره واغتباطه بنعم الله التي فاق فيها غيره ممن هو دونه فيها، ويدفعه للأمل ورجاء فضل الله المحسن الوهاب.

سابعًا: الصبر :

الصبر من أهم أسباب الوقاية من الاستسلام لليأس والقنوط عند ذهاب النعمة، وكذلك عدم البطر والتكبر عند النعمة، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ ﴾ هود: ٩ – ١٠، ثم استثنى سبحانه من جنس الإنسان فيما ذكر من حاليه السالفتين، فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١ ﴾ هود: ١١، فطبيعة الإنسان، أنه جاهل ظالم، إذا أذاقه الله

---

(١) ابن القيم، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** ، د.ط ، ٢٩٩/١.

(٢) ينظر: ابن حيان ، **البحر المحيط في التفسير** ،د.ط، ٤٦٩/٨ . السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، ط١ ، ص (٤٣٧).

تعالى منه رحمة كالصحة والرزق، والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيرًا منها عليه، وأنه إذا أذاقه رحمةً من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر ويظن أنه سيدوم له ذلك الخير، إلا من وفقه الله وأخرجه من هذا الخُلق الذميم إلى ضده، وهم الذين صبَّروا أنفسهم عند الضراء فلم ييأسوا، وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات مستحبات، أولئك لهم مغفرة عظيمة من ربهم تمحو ما علق بأنفسهم من ذنب أو تقصير، وأجر كبير في الآخرة على ما وفّقوا لعمله من بر وخير كثير [1]، ووعد الله تعالى من صبر، ما هو أعظم وخيرٌ له أضعافًا مضاعفة مما فاته في المصيبة، وأعظم مما تحمَّله في الصبر عن المعاصي التي كانت تريدها نفسه فلم يرتكبها لله، وكذلك أعظم مما بذل واجتهد ونصب في طاعة الله فأدَّاها كما أراد الله، فجاء في كتاب الله تعالى ما تقر به أعين الصابرين، ويهون عليهم الصبر، ويجدد لهم الأمل ورجاء حسن العاقبة في العاجل والآجل، ويبعد عنهم اليأس والقنوط، ومن ذلك:أن جعل الله تعالى أجر الصابرين بغير حساب، بل عطاءً عظيمًا من عنده، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ الزمر: ١٠، فتكون أجورهم بغير حد ولا عد ولا مقدار، وثوابهم وأجرهم لا نهاية له[2]، وجعل الله تعالى للصابرين على أقداره المؤلمة، البشرى العظيمة منه جل وعلا، فبعد أن قال الله تعالى:﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ ﴾ البقرة: ١٥٥، قال سبحانه مُبشرًا الصابرين:﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٧، فمن صبر على هذه المصائب أعطاه الله تعالى في العاجل والآجل ما هو أعمّ نفعًا له [3]، وأكرَمَ الله تعالى الصابرين وأعلى قدرهم، ورفع منزلتهم، بحبه لهم ،فقال تعالى :﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٦، وبشَّرهم بأنه معهم، فقال :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ البقرة: ١٥٣ ،وكفى بمعية الله للصابرين معونةً وفضلًا وشرفًا، وبشرهم أيضًا بأن صبرهم خيرٌ لهم؛ فلهم به حسن العاقبة عاجلًا وآجلًا، كما قال تعالى: ﴿ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ﴾ النساء: ٢٥.

---

(١) ينظر: المراغي ، **تفسير المراغي** ، ط١ ،٨/١٢ . أبو السعود ، **تفسير أبي السعود**، د.ط ، ١٩٠/٤. السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، ط١ ، ص (٣٧٨) .

(٢) الشوكاني ، **فتح القدير** ، ط١ ، ٥٢١/٤.

(٣) الواحدي ، **التفسير البسيط** ،ط١، ٤٢٧/٣.

الخاتمة

وبعد :

فهذا ما وفق الله إليه الباحث ويسره من عنده عز وجل في هذا البحث، ويمكن استخلاص أبرز نقاطه وأهم نتائجه والتوصيات فيما يأتي:

أولًا: النتائج :

١) القرآن الكريم مفتاح لكل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، وهو أعظم مصدر للأمل وانشراح الصدر وطمأنينته، ومن أقبل عليه تلاوةً وتدبرًا وعملًا مخلصًا لله نال تلكم البركات.

٢) الإسلام دين إيجابي يدعو للأمل ورجاء ما عند الله من الخير والرحمة، ويمنع من اليأس والقنوط مهما كانت الأزمات، ومنها جائحة كورونا.

٣) جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة مصوغة صياغة القاعدة أو السُّنّة الثابتة،تتضمن معاني باعثة للأمل.

٤) ذكر الله تعالى في كتابه الكريم كثيرًا من القصص التي تبث الأمل وتحييه في النفوس.

٥) أسماء الله تعالى في القرآن الكريم تتضمن معاني عظيمة مباركة تفتح أبواب الأمل لكل من تأملها.

٦) من أهم مقومات صناعة الأمل والوقاية من اليأس والقنوط: الإيمان والعمل الصالح – العلم بالله تعالى وعظيم قدرته – الإكثار من ذكر الله عز وجل – التوكل على الله تعالى – الإيمان بالقضاء والقدر – تذكر نعم الله تعالى — الصبر.

٧) بقدر عمل المسلم بمقومات صناعة الأمل فإنه ينال الطمأنينة وانشراح الصدر والاستقرار النفسي مهما كانت الشدائد والمخاوف التي تحيط به.

ثانيًا: التوصيات :

١) عمل المزيد من الدراسات القرآنية لاستنباط مقومات صناعة الأمل والوقاية من اليأس والقنوط وربطها بالواقع وما فيه من تحديات وأزمات.

٢) أهمية إبراز جمال تشريعات الإسلام ومنها ما يتضمنه من نصوص قرآنية باعثة للأمل ومانعة من اليأس والقنوط.

٣) عمل بحث خاص عن قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم وما فيها من دعوة للأمل.

****

المصادر والمراجع

١- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ط١ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ) .

٢- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب،ط١ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠)

٣- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، د.ط (د.م: المكتب الإسلامي،د.ت)

٤- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، ط١ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٩٨) .

٥- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي، ط١ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠) .

٦- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط١ (د.م: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ) .

٧- البغا، مصطفى ديب ، ومستو ، محي الدين ديب، الواضح في علوم القرآن، ط٢ (دمشق: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨) .

٨- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط٤ (المدينة المنورة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧)

٩- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ) .

١٠- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ط٢ (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥) .

١١- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢) .

١٢- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ) .

١٣- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤) .

١٤- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠) .

١٥- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨)

١٦- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، د.ط(بيروت: دار الفكر،١٤٢٠هـ)

١٧- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، سنن أبي داود ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، ط١ (د.م: دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩) .

١٨- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، التفسير الكبير، ط٣ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) .

١٩- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ) .

٢٠- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠) .

٢١- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، ط١ (بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ) .

٢٢- الطبراني، بو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الكبير، ط٢ (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت) .

٢٣- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١ (د.م: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠) .

٢٤- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، د.ط (تونس: الدار التونسية للنشر،١٩٨٤)
٢٥- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ) .
٢٦- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط٨ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥) .
٢٧- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، الفروق، د.ط (د.م: عالم الكتب، د.ت)
٢٨- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، ط٢ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤) .
٢٩- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات ، ط٣ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت) .
٣٠- القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ط١ (د.م: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ٢٠٠٨) .
٣١- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٢ (بيروت: دار الكتب العربي، ١٩٩٦) .
٣٢- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٢٧ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤)
٣٣- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط٢(المدينة المنورة:دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩)
٣٤- المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ط١ (مصر:شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده،١٩٤٦)
٣٥- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب، ط٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)
٣٦- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تحقيق يوسف علي بديوي، ط١ (بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨) .
٣٧- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط(بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)
٣٨- الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة ، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١) .
٣٩- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، التفسير البسيط، ط١ (د.م: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٠هـ)
٤٠- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١ (بيروت: دار القلم ، الدار الشامية، ١٤١٥هـ)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص	١
المقدمة	٢
إشكالية البحث	٢
أسئلة البحث	٣
أهداف البحث	٣
أهمية البحث	٣
مصطلحات البحث	٤
منهج البحث	٦
تقسيمات البحث	٦
المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في بث لأمل	٧
المطلب الأول :القواعد القرآنية الباعثة للأمل	٧
المطلب الثاني: بث الأمل من خلال قصص القرآن الكريم	٨
المطلب الثالث: بث الأمل من خلال أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلا	٩
المطلب الرابع : نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط	١٠
المبحث الثاني: نبذ القرآن الكريم لليأس والقنوط	١٠
المطلب الأول : تحذير القرآن الكريم من اليأس والقنوط	١٠
المطلب الثاني : مقومات صناعة الأمل والوقاية من اليأس والقنوط في القرآن الكريم	١٢
الخاتمة	٢١
المصادر والمراجع	٢٢
فهرس الموضوعات	٢٤

****